

Happiness and Productivity as Indicators for Measuring Social Capital Across the World

<https://doi.org/10.57642/AJOPSY105>

Samah Khaled Zahran

prof.dr.samahkz@gmail.com

Department of Psychology, Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo, Egypt

Received: 21/01/2025

Accepted: 05/04/2025

Published: 15/04/2025

Abstract

This is a research article, which can be included as a type of operations research that examines the nature and predictability of social capital through the variables of happiness and productivity in the form of a proposed mathematical model, and by using the logic of mathematical modeling as a quantitative processing methodology, with qualitative treatment by standing on the theoretical frameworks of the work variables presented. The article thus proposes a model for measuring social capital through the two variables presented.

Keywords: Social capital, happiness, productivity, operations research, mathematical modeling

السعادة والإنتاجية كمؤشرين لقياس رأس المال الاجتماعي عبر العالم

سامح خالد زهران

prof.dr.samahkz@gmail.com

قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر

النشر: 2025/04/15

القبول: 2025/04/05

الاستلام: 2025/01/21

ملخص

هذا المقال، هو عبارة عن نوع من أنواع بحوث العمليات التي تفحص طبيعة رأس المال الاجتماعي وإمكانية التنبؤ به من خلال متغيري السعادة والإنتاجية في شكل نموذج رياضي مقترح، وباستخدام منطق النمذجة الرياضية كمنهج للمعالجة الكمية، مع المعالجة الكيفية من خلال الوقوف على الأطر النظرية لمتغيرات العمل المطروحة. وخلص المقال إلى اقتراح نموذج لقياس رأس المال الاجتماعي من خلال المتغيرين المطروحين.

الكلمات المفتاحية: رأس المال الاجتماعي، السعادة، الإنتاجية، بحوث العمليات، النمذجة الرياضية

مقدمة

ما أحوجنا ونحن نعيش في عالم يعج بالصراعات والمشاكل أن نبحث عن القيمة وعن الإنسان وعن الجوهر، علنا نجد ما يعيدنا لإنسانيتنا. والإنسان كائن اجتماعي بطبعه يعيش مع الآخرين في علاقات تبادلية مستمرة منذ لحظة خلقه وحتى فنائه. ويبقى السؤال كيف يمكن أن نكون شبكة علاقات اجتماعية تعيننا على تحقيق أهدافنا بنفس القدر الذي تعيننا فيه على العيش المشترك سويا من أجل هدف واحد للمجموع؟ إنها المعادلة التي شغلت الإنسان مبكرا ولا تزال. وفي هذه الورقة العلمية أحاول بيان ذلك من خلال ما يسمى "برأس المال الاجتماعي" من حيث ماهيته وعلاقته بعدد من المتغيرات والعوامل التي من شأنها أن تساعدنا في النهوض بالمجتمع وتنميته على كل صعيد.

أولا/ مفهوم رأس المال عامة وأنواعه

يشير مفهوم رأس المال إلى أصول الثروة التي يمتلكها فرد أو عدد من الأفراد أو هيئة أو كيان، وهو مصطلح اقتصادي يقصد به الأموال والمواد والأدوات اللازمة لمتطلبات الحياة اليومية والنمو المستقبلي (ar.wikipedia، 2024). ولرأس المال عامة خمسة أنواع هي: رأس المال المالي ويشير إلى الأصول المالية التي يتم توليدها من خلال الأنشطة الإنتاجية، ورأس المال الطبيعي ويتمثل في أصول الثروات الطبيعية من مواد خام موجودة بالطبيعة، ورأس المال البشري ويتمثل في أصول القدرات الإنتاجية للأفراد الموروثة أو المكتسبة من خلال التعليم والتدريب. وأخيرا رأس المال الاجتماعي – وهو الأكثر جدلا والأصعب قياسا – حيث يشير إلى مخزون الثقة والتفاهم المتبادل والقيم المشتركة والمعرفة الاجتماعية التي تربط الأفراد ببعضهم البعض في علاقات اجتماعية متبادلة (Goodwin, 2003, p. 1).

ثانيا/ مفهوم رأس المال الاجتماعي

يعرف رأس المال الاجتماعي على أنه مجموعة الموارد الفعلية الحقيقية والمتوقعة والتي تتمثل في ملكية الفرد لشبكة من العلاقات الاجتماعية المستمرة، التي تنظم معارف الفرد المتبادلة وتشكل انتمائه لمجموعة دون أخرى (بلحنافي، أمينة و مختاري، فيصل، 2017، ص. 125)، أي أن رأس المال الاجتماعي عبارة عن أصول ما يمتلكه الفرد من ثروة علاقات اجتماعية مستمرة ومتبادلة المنفعة للطرفين الفرد والمجموع.

ثالثا/ تاريخ المفهوم

برغم قدم مفهوم رأس المال عامة والذي يشير للثروة وقوى الإنتاج ورؤوس الأموال، إلا أن مصطلح رأس المال الاجتماعي حديث نسبيا مقارنة به، حيث بزغ في القرن العشرين ونما وتطور بنهاية هذا القرن، ليشمل مجالات علوم الاجتماع، والسياسة كما في الديمقراطية والحكم المدني والرشد، والاقتصاد والتعليم وإدارة الأعمال وسياسيولوجيا الشبكات الاجتماعية (معييري، هشام و الجيلاني، حسان، 2017، ص. 64). وفي الاقتصادات الصناعية المعاصرة يشير مصطلح "رأس المال الاجتماعي" إلى مخزون الثقة والتفاهم المتبادل والقيم المشتركة والمعرفة الاجتماعية التي تيسر التنسيق الاجتماعي للنشاط الاقتصادي (Goodwin, 2003, p. 1). ويرجع اعتراف علماء الاقتصاد بهذا المفهوم في العائد الإنتاجي والربحي؛ لأن طبيعة شبكة العلاقات الاجتماعية تؤثر في جودة الإنتاج وبالتالي في العائد الربحي، مما يؤثر بشكل مباشر في الاقتصاد.

رابعا/ أهمية رأس المال الاجتماعي ووظائفه

تتمثل الأهمية الأساسية لرأس المال الاجتماعي في كونه صمام أمان للمجتمعات؛ حيث أن شبكة العلاقات الاجتماعية الدائمة بالمجتمع والتي تتمثل في الثقة المتبادلة بين أطرافه الفاعلة والانتماء والتعاون والقيم الإيجابية التي تعزز العيش البناء المشترك، كل هذا يقف حائط صد دون انهيار المجتمع أمام الأزمات والمشاكل. لقد واجهت المجتمعات الإنسانية على اختلاف مراحل نموها وتطورها العديد من الأزمات والتحديات والمعوقات الداخلية والخارجية. ويعد رأس المال الاجتماعي شكلا من أشكال المرونة الاجتماعية، التي تحول دون انهيار المجتمع، وتعمل على مقاومته للتحديات الناجمة عن آثار الأزمات، بما يؤدي لاستيعاب الصدمات والتكيف والتعافي وتضميد الجراح وإعادة البناء على نحو أفضل. وبالتالي فرأس المال الاجتماعي هو حجر الزاوية الذي يشكل الأساس الصلب لسمود المجتمع واستقراره، ولتشكيل ما يسمى "بمجتمع المنعة"، الذي يدرأ المخاطر عن أبنائه بما يمتلكه من رأس مال اجتماعي يعد صمام الأمان والمحور الأساسي للتأمين المجتمعي، بمنع انزلاقه وتشظيه، والحد من خسائره (مصطفى، عدنان يس، 2018، صص. 4-8).

وبالتالي فرأس المال الاجتماعي مفهوم متطور من مفاهيم السلوك التنظيمي، يركز على قاعدة القيم والمعايير الصحيحة الحاكمة لعمل الجماعة، وهو حالة من الالتزام الأخلاقي الذي يجعل أعضاء المجتمع متآزرين مع بعضهم

البيعض متعاونين في السراء والضراء بما يعزز من مشاعر الولاء والانتماء، ويتيح الفرص الكافية لتبادل المعارف والأفكار والمشاعر، بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع بأسره (معيري، هشام و الجيلاني، حسان، 2017، ص. 66). وبالتالي تتركز فوائد العمل على تطوير رأس المال الاجتماعي في العناصر التالية:

- يعد محركا رئيسيا لترسيخ قيم الالتزام المؤسسي، فهو يشجع التعاون وتعزيز الثقة وإقامة الروابط؛
- يعد عاملا مساعدا لتحقيق صيغة العمل ذو الأداء العالي، حيث الثقة في المستويات الإدارية المختلفة تعد عاملا رئيسيا في تطوير روح الولاء لدى العاملين، وبالتالي العمل بأداء عال؛
- يعد أداة مهمة لتعزيز العمل الاجتماعي وقيمه؛
- يعد وسيلة مهمة لتطوير رأس المال الفكري؛

يقدم تغذية رجعية فورية؛ إذ يصحح مسار العمل فورا قبل تفاقم المشكلات (معيري، هشام و الجيلاني، حسان، 2017، صص. 74-80).

خامسا/ أشكال رأس المال الاجتماعي ومكوناته

لرأس المال الاجتماعي شكلين أو نوعين رئيسيين هما: رأس المال الاجتماعي الشخصي ومجاله علاقات الأفراد الشخصية بالآخرين، ورأس المال الاجتماعي المؤسسي ومجاله شبكة العلاقات الرسمية بالمجتمع ومؤسساته المختلفة (مصطفى، عدنان يس، 2018، ص. 14).

وداخل كل نوع يتكون رأس المال الاجتماعي من ثلاثة أبعاد أو مكونات رئيسية، هي: البعد الهيكلي ويتمثل في شبكة العلاقات المتاحة بتنظيمها المناسب، وهو يتيح للأفراد فرص الاتصال بالغير وتكوين صلات متعددة معهم. ثم البعد أو المكون الإدراكي ويتمثل في المكون المعرفي الخاص بالأهداف والتصورات واللغة والرموز المشتركة، وهو يتيح للأفراد قدرة أكبر على التواصل من خلال المعارف المتداولة المشتركة. وأخيرا البعد أو المكون الوجداني بما يتضمنه من ثقة وتوافق يحقق قدر من الالتزام بمعايير الجماعة، وهذا المكون يتيح للأفراد المزيد من الدافعية لاستمرار الاتصال والتأثير وربما السيطرة (بلحنافي، أمينة و مختاري، فيصل، 2017، ص. 147).

سادسا/ مصادر تكوين رأس المال الاجتماعي

تتشكل شبكة علاقات رأس المال الاجتماعي من مجموعة مصادر تكون علاقات الفرد عبر تطوره ومراحل نموه، ففي البداية تكون الأسرة، حيث أنها المصدر الأول والأساسي لرأس المال الاجتماعي، فهي حجر الأساس للمعرفة وإقامة الصلات مع الغير، وفيها أسس وبدايات عملية التنشئة والتطبيع، كما أن فيها أسس وبدايات تكوين الشخصية.

وتتبع الأسرة نفسها كأسرة نوية ثم العائلة بأكملها، المدرسة باعتبارها هيئة تعليمية اجتماعية - تنتقل فيها العلاقات من الشخصية للرسمية المؤسسية- حيث فيها تزرع مبادئ العمل الاجتماعي التعاوني مع المعلومات والثقافة المكتسبة المشتركة. ومع زيادة النمو تتسع شبكة العلاقات الاجتماعية لتشمل المجموعات الاجتماعية النشطة مثل جماعة الجيران والأصدقاء والأعضاء في مجموعة كالأندية والجمعيات وما شابه.

يحرك هذه الكيانات الاجتماعية دائما الثقة والأمان بين أعضائها، بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع في تقليل العنف والعوانية، بما يحقق الرفاهية الاجتماعية للمجتمع، وهذا لا يحدث إلا بشرط التبادل المادي والرمزي بين الأعضاء والمجموعات. ومع اتساع الرقعة الاجتماعية للأفراد تتعدد مصادر رأس المال الاجتماعي ما بين المؤسسات الرسمية والقطاع العام أو الخاص والطوائف والانتماءات العرقية والتكامل الوظيفي بين الأدوار الاجتماعية والمجتمع المدني بكل أشكاله وأطيافه (بلحنافي، أمينة و مختاري، فيصل، 2017، صص. 129-132).

سابعا/ قياس رأس المال الاجتماعي

يواجه قياس رأس المال الاجتماعي مجموعة من التحديات؛ لأنه ليست هناك طريقة واحدة مباشرة لقياسه في أي مجتمع وأي وقت (بلحنافي، أمينة و مختاري، فيصل، 2017، ص. 135).

لكن أن بيير بورديو Pierre Bourdieu (1985) كان أول من قدمه كأداة للتحليل الاجتماعي في أواخر السبعينيات من القرن الماضي على المجموعات الصغيرة، ثم تلاه علماء السياسة والاقتصاد حيث استخدموه في تحليل المجتمعات ككل بل وقارنتها بالمجتمعات الأخرى.

وقد ساهم بورديو في تحديد تعريف إجرائي لرأس المال الاجتماعي يتصف بالمقارنة بين:

- رأس المال المتاح: ويمثل الموجود في الإمكان والذي من الممكن استثماره في مواقف متعددة وبطرق شتى في المستقبل؛

- ورأس المال المستخدم: وهو الجانب المستخدم فعلا والذي يحقق المطلوب بشكل أي أو في الحاضر.

فأرأس المال الاجتماعي هو حاصل إضافة سعة شبكة العلاقات الاجتماعية ومدى عمقها أو قوتها، حيث تكون هناك شبكة علاقات اجتماعية وجانب ذاتي يتمثل في الثقة المتبادلة والمشاعر الإيجابية.

ومع تطور مفهوم رأس المال الاجتماعي الإمبريقي بشكل يمكن قياسه، ظهر أسلوب تحليل الشبكات الاجتماعية أو التحليل الشبكي، والذي يدرس الوضع الذي يمثله كل فرد في شبكة معينة، والذي يدرس درجة تأثيره في الأفراد والجماعة ككل، ودرجة تأثره ببعض الأفراد وبالجماعة ككل (حجازي، عزت، 2006، صص. 10-14). وقد اقترح البنك الدولي استبياناً متكاملًا لقياس رأس المال الاجتماعي عام 2004، يشمل ستة أبعاد لقياسه: المجموعات والشبكات؛ الثقة والتضامن؛ العمل الجماعي والتعاون؛ المعلومات والاتصال؛ التماسك الاجتماعي؛ التمكين والنشاط السياسي. إذ يرى أن شبكة العلاقات الاجتماعية ليست ساكنة وإنما دينامية متغيرة تبعاً لمتطلبات السياق. وفي تقرير التنمية البشرية عام 2014 قامت مؤسسة جالوب Galop باستطلاع رأي حول السؤال "هل يمكن الوثوق في جميع الناس؟" باعتبار الثقة مؤشراً لرأس المال الاجتماعي وجاءت أعلى الدول فلندا بنسبة 58% وهي الأكثر سعادة بشكل متكرر في تقارير السعادة العالمية بالسنوات القليلة الماضية. بينما تعد أقل دولة وثوقاً هنغاريا بنسبة 13%، وعلى مستوى العالم العربي جاءت أعلى الدول المغرب بنسبة 58% أيضاً تلتها مصر بنسبة 22% وأقل الدول وثوقاً كانت لبنان بنسبة 7% (بلحفاي، أمينة و مختاري، فيصل، 2017، صص. 141-143).

وعليه تكون وحدة قياس رأس المال الاجتماعي هي كم وعمق العلاقات الاجتماعية، بينما تكون وحدة قياس رأس المال البشري مثلاً بالمقارنة هي الفرد، حيث يتم التركيز على قياس قدراته ومؤهلاته، بينما في رأس المال الاجتماعي يتم التركيز على اتجاهات أفراد الجماعة، وقيم العضوية، وحجم المشاركة، ومستويات الثقة، فبحجم التفاعل الاجتماعي وتعميمه وتأثيره يكون حجم رأس المال الاجتماعي زيادة أو نقصاناً (معيري، هشام و الجيلاني، حسان، 2017، ص. 72).

ثامناً/ معوقات تكوين ونمو رأس المال الاجتماعي في المجتمع البشري وسبل تذليلها

لما كان لرأس المال الاجتماعي أهمية في نشر قيم التعاون والمشاركة وبالتالي رفع مستوى الثقة بين أفراد المجتمع، فإن هذا سيؤدي بشكل حتمي مباشر للحد من مشكلات المجتمع المختلفة مما يزيد من صموده في مواجهة أزماته المختلفة، وبشكل غير مباشر سيني الإبداع ويحد من مستويات البطالة، وسيعود بالنفع اقتصادياً على المجتمع في زيادة النمو الاقتصادي وارتفاع الناتج المحلي؛ حيث تساعد العلاقات الاجتماعية البناءة على الحد من مشاكل المعاملات بما يؤدي لزيادة فرص الاستثمار، حيث أن رأس المال الاجتماعي هو بناء مجتمعي وقيمي ييسر التعاون داخل المجموعات ويقوي الروابط بين المجموعات وبعضها، بما يسهم في عملية تنمية دائمة اجتماعياً واقتصادياً.

وبالتالي تتمثل تحديات بناء وتكوين رأس المال الاجتماعي، وطرق مجابتهما في:

1. الأزمة القيمية والأخلاقية: حيث تحل فيها مجموعة من القيم السلبية التي تتسم بسلوكيات لا معيارية تفتقد للقيم الإيجابية بما يوقع المجتمع في فوضى أخلاقية. ومن أمثلة السلبيات الأخلاقية:

- الأنانية و غلبة المصلحة الفردية أو المصلحة لمجموعة على مصلحة الكل أو المجموع ككل، بمعنى إحلال النزعة الفردية على الجماعة؛
- غلبة الانتهازية المادية على علاقات الأفراد؛
- شيوع السلوك الاستهلاكي الترفي؛
- شيوع السلوك السلبي والعزلة الاجتماعية؛
- شيوع السلوكيات اللامعيارية؛
- تزايد العنف المادي والمعنوي؛
- غياب مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة.

2. تحلل مصادر تكوين رأس المال الاجتماعي: ساهم في هدر رأس المال الاجتماعي بشكل عميق التغيير الجذري الحادث في مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها مؤسسة الأسرة، حيث عجزت عن استيعاب التغيرات بما يسمح بتريخ إعداد الفرد جيداً ليكون جزءاً فاعلاً في نسيج مجتمعي فاعل.
3. غياب أو ضعف التخطيط الاجتماعي الهادف لتدعيم رأس المال الاجتماعي: ويكون بتوعية وتحفيز المجتمع بجميع جماعاته على كل ما من شأنه أن يحقق التفاعل الاجتماعي المتوازن، كما يكون بتدعيم الوحدة أو اللحمة المجتمعية بما يعزز قوة المجتمع الإنسانية والاقتصادية والسياسية. وأخيراً حث الأفراد على مواكبة التغيرات الحديثة بما يحقق الصالح العام للأفراد وللمجتمع، ولا يخل بينيته الداخلية (الرفاعي، كريمة السيد بنداري، 2015، صص. 370-387).

تاسعاً/ رأس المال الاجتماعي في النظريات والدراسات والأبحاث السابقة

في بحث مسحي أجري على فترة عقد من الزمان من الأعوام 2010 وحتى 2019، على قاعدة بيانات سكوبس Scopus، تبين أن الأبحاث التي تناولت رأس المال الاجتماعي، بحسب التخصصات العلمية كانت كما يلي:

مجال علم الاجتماع فقط أكثر من ستمائة بحث، مجال العلوم الاجتماعية عامة أكثر من ثلاثة آلاف بحث، مجال العلوم عامة بشقيها الطبيعي والاجتماعي أكثر من خمسة آلاف بحث، ومنها استنتج الباحثان أن موضوع رأس المال الاجتماعي موضوعاً يبينياً يخص العلوم كافة ولا يقتصر على مجال بعينه.

ومن حيث موقعه كمتغير في عينة البحث:

جاء كمتغير مستقل بأعلى نسبة 66% تقريباً، بمعنى كونه مؤثراً في العوامل الأخرى، وجاء كمتغير تابع بنسبة أقل 24% تقريباً بمعنى كونه متأثراً بعوامل أخرى، ومن حيث موقعه كمتغير وسيط أي بين هذا وذاك جاء بالنسبة الأقل حوالي 8% تقريباً.

ومن حيث موضوعات الدراسة، جاء ضمن موضوعات عن: الديموجرافيا، السياسة، الإدارة، التربية، الاقتصاد، القانون والجريمة، الدين، المجتمع الافتراضي، النظرية والمنهجية.

وفي علم النفس ارتبط رأس المال الاجتماعي بمتغيرات نفسية اجتماعية مثل: القدوة الاجتماعية، البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، النزعة الاجتماعية لدى الإنسان، الاستبعاد الاجتماعي مقابل التقارب والدعم العاطفي، نظرية تبادل المصالح والفرص الاجتماعية، السياق الاجتماعي، الدور الاجتماعي، الهوية الاجتماعية، المعايير الاجتماعية، التحيز الاجتماعي لمن هم داخل المجموعة، وضد من هم خارج المجموعة، الدعم الاجتماعي، النشاط الاجتماعي.

كل هذا يلقي الضوء على الآليات النفسية التي تقوي من البناء الاجتماعي وتقلل مما يهدد الجماعة كالتقليل من معدلات القتل والعنف والجريمة، والحد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة عامة (الحايس، عبد الوهاب جودة وجمعة، محمد حسين أنور، 2021، صص. 27-111).

هذا وتركز نظريات رأس المال الاجتماعي عامة على دراسة العلاقات والشبكات الاجتماعية والاعتماد المتبادل والبناء الاجتماعي بما يعد ثروة قائمة في المجتمع؛ لأنها تدعم الثقة بين نظم المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البناء الاجتماعي (الرفاعي، كريمة السيد بنداري، 2015، ص. 372).

عاشرا/ مشكلة المقالة البحثية وفرضياتها

بناء على كل ما تقدم تعالج المقالة البحثية الراهنة تأثير شبكة العلاقات الاجتماعية للأفراد والمؤسسات أو المجتمع ككل - فيما يسمى برأس المال الاجتماعي- في تنمية وتطوير كل من الفرد والمجتمع على حد سواء. وحيث أن رأس المال الاجتماعي له شق شخصي في علاقتنا بالآخرين، وشق اجتماعي في علاقتنا الرسمية بمؤسسات العمل والإنتاج التي نعمل فيها، وفي ضوء ما تم استعراضه عنه فيما تقدم، فقد افترضت الآتي:

- أن رأس المال الاجتماعي متغير مستقل يؤثر في الجانب الشخصي والجانب العام المجتمعي المؤسسي الرسمي.
- أنه يمكن قياس رأس المال الاجتماعي بقياس السعادة باعتبارها عاملاً شخصياً بالأساس في طبيعته، وبقياس الإنتاج المؤسسي باعتباره مؤشراً لجودة شبكة العلاقات الداخلية بالمؤسسة.

- حاولت صياغة هذا باستخدام المنطق الرياضي، في هيئة نموذج رياضي من معادلات رياضية مقترحة لطبيعة هذه العلاقات من جهة، فهو نموذج وصفي لأنه يصف الحالة موضع المشكلة، ونموذج رياضي لأنه يقبلها في معادلات يمكن أن تفيد ليس فقط في الوصف، وإنما في التنبؤ لاحقاً في ظل نموذج رياضي محدد، متى ما توافرت أرقام واضحة عن الحالات.

- وعليه سأتناول في الجزء التالي معنى السعادة النفسية ومعنى القدرة الإنتاجية وعلاقتها برأس المال الاجتماعي، وكيف يمكن أن يؤثر ويتأثر كل منهم بالآخر. حيث أن المقالة البحثية معنية برأس المال الاجتماعي كمتكون نفسي مجتمعي، متأصلاً في المجتمع البشري ومؤشراً لمدى رفاهيته وتنميته وسعادته.

- إذن اقتراح فرضية أن رأس المال الاجتماعي هو محصلة أو نتاج سعادة شخصية، وتوازن مجتمعي - كما يبدو في إنتاج المجتمع وقدرته على العمل، والعكس صحيح فالسعادة الشخصية والتوازن المجتمعي الذي يمكن تضمينه في إنتاجية مؤسسات المجتمع إنما هما مؤشران لوجود وقوة وحجم رأس المال الاجتماعي، أي أن رأس المال الاجتماعي يمكن قياسه من خلال متغيري: السعادة النفسية والقدرة الإنتاجية.

وبيان ذلك تفصيلاً كما يلي:

السعادة النفسية

أولاً/ مفهوم السعادة

تعبر السعادة النفسية عن مستوى الرضا العام للفرد عن حياته، وما يتبع ذلك من شعوره بالارتياح والطمأنينة، والقدرة على تحقيق الذات وتحقيق الأهداف، مع الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية الجيدة بالآخرين (قورة، أحمد حلمي محمد، 2022، ص. 110).

ثانياً/ السمات الشخصية للسعادة

أظهرت دراسات السعادة على عينات مختلفة من دول العالم أن للأشخاص الأكثر سعادة سمات شخصية تميزهم عن غيرهم ممن هم أقل سعادة، وتتمثل في:

- الاستقلالية: بمعنى القدرة على تحقيق الضبط الذاتي للسلوك، واتخاذ قرارات معقولة، وتقييم الذات، ومقاومة الضغوط؛

- التطور الشخصي: بمعنى الانفتاح على الخبرات الجديدة، التفاؤل، القدرة على تنمية الشخصية بشكل مستمر؛
 - العلاقات الإيجابية مع الآخرين: بمعنى القدرة على تفهم الآخرين والتأثير فيهم، القدرة على الأخذ والعطاء، الاهتمام بإسعاد الآخرين، القدرة على تكوين صداقات، القدرة على تكوين علاقات شخصية بالآخرين تتسم بالدفء والرضا والثقة؛
 - أن يكون هادفاً: بمعنى أن يشعر الفرد بمعنى للحياة وتكون لديه القدرة على تخطيط حياته ورسم أهدافه بوضوح والوصول إليها؛
 - تقبل الذات: بمعنى أن تكون لديه اتجاهات إيجابية نحو ذاته ومتقبلها بسلبياتها وإيجابياتها بجميع خبراته الماضية (أبو هاشم، السيد محمد، 2012، صص. 109-110).

ثالثاً/ مصادر السعادة

في دراسة أجريت على البيئة المصرية على طالبات جامعات في فرق دراسية متعددة، عن أنثروبولوجيا السعادة، أمكن تحديد مصادر للسعادة الشخصية سواء كانت دائمة أو مؤقتة، وهي بهذا تحتفظ بنقاط مشتركة مع دراسات في مناطق أخرى بالعالم.
 وقد أمكن تحديد مصادر السعادة الدائمة في العناصر المرتبطة بدورة حياة الفرد ونموه، مثل: النجاح والتفوق، الصداقة، الدعم المتبادل، الروحانيات، البدايات الجديدة، الزواج، تكوين أسرة موفقة، مساعدة الآخرين.
 بينما تحددت مصادر السعادة المؤقتة، فيما يلي: التنزه والترويح، لقاء الأهل، ابتسامة طفل، لقاء الأصدقاء، مفاجآت سارة، اكتساب معلومة، مشاهدة أعمال كوميدية، تناول وجبات غذائية، التسوق، ممارسة الهوايات (المرصفي، هناء محمد خيرى حسن، 2018، صص. 176-183).

رابعاً/ مؤشرات السعادة بين مجتمعات العالم

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 2011 قراراً يدعو الأعضاء لقياس مقدار السعادة بين شعوبهم من أجل العمل على تطوير السياسات الخاصة بكل دولة، ليصدر تقرير السعادة الأول في أبريل 2012، ويعد بمثابة مسحا للسعادة في العالم، وقد تم تصنيف سعادة الشعوب وفق عدة معايير: حجم الرعاية الاجتماعية، تنوع الخيارات المتاحة للمواطنين أو الحرية في اتخاذ القرار، تدني مستوى الفساد، درجة تراجع اللامساواة بين المواطنين، مقدار دخل الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

وفي عام 2015 أشار تقرير السعادة إلى ما يسمى "جغرافيا السعادة"، وفيه ركز على متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي في السنة، وتوقع الحياة للفرد بصحة وعافية، والدعم المجتمعي وقت الحاجة. وأصبحت السعادة القومية وجغرافيا السعادة والتنمية البشرية المستدامة هدفاً عملياً للحكومات (أبو عيانة، فتحي، 2024، صص. 26-30).
 بينما عكس تقرير مؤشر السعادة العالمي للعام 2024 زيادة التفاوت في السعادة على مستوى العالم بنسبة تزيد على 20% خلال الأعوام الإثني عشر من أول تقرير صادر في 2012 وحتى التقرير الأحدث للعام 2024، حيث كشف عن تراجع مستويات الرضا بين الشباب في أنحاء من العالم، حيث ظهرت مشاعر سلبية بين الإناث أكثر من الذكور، وعبر المراحل العمرية، وظهر الارتباط بين الشعور بالرفاهية من عدمه وبين الإصابة بالخرف¹.

وفي النهاية لو سألنا: ما الذي يجعل الإنسان سعيداً في بيئته الجغرافية؟ فإن الإجابة يمكن أن تكون أن تكون أن الناس الأكثر ارتباطاً بالأسرة والأصدقاء وبالمجتمع هم الذين يتفوقون على غيرهم من البشر الذين تقل علاقاتهم الاجتماعية بالأسرة وبالمجتمع، حيث تصبح الوحدة قاتلة بالنسبة لهم. مما يسهم في النهاية في تحقيق السعادة والرضا والتكامل والسلام المجتمعي (أبو عيانة، فتحي، 2024، ص. 26).

من العرض السابق يتضح أن:

- مصادر السعادة الشخصية لا تتعارض مع مؤشرات السعادة العالمية بل على العكس، تؤكد وتدعمها؛
 - تراجع مؤشرات السعادة العالمية عبر سنوات الرصد من البداية وحتى الآن؛ وذلك لتراجع مستوى الرضا العام، لا سيما بين الشباب والذين يشكلون نسبة لا يستهان بها عبر العالم؛
 - لو أخذنا في الاعتبار معادلة فرويد في السعادة، حيث السعادة تساوي أو تنتج من الصحة العامة الجيدة، مع العلاقات الاجتماعية لا سيما الشخصية الصادقة أو الحقيقية، مع القدرة على تحقيق الذات. سنجد أن العمود الفقري لكل هذه المكونات هو رأس المال الاجتماعي، حيث تعتمد الصحة الجيدة على بيئة صحية مادية واجتماعية، وتحقيق الذات يتأتى من الوسط الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية الصادقة هي لب رأس المال الاجتماعي؛
 - إذن الشخص السعيد لديه مخزون اجتماعي جيد من العلاقات الإنسانية والاجتماعية، إذن رأس المال الاجتماعي والسعادة الشخصية كلاهما يمكن أن يعد مؤشراً لقياس الآخر.

¹ https://x.com/sdg_kuwait?lang=ar

القدرة الإنتاجية

أولاً/ مفهوم الإنتاج

الإنتاج القومي وكذا العالمي هو مجموع ما أنتج من سلع وخدمات في فترة معينة. ويشمل الإنتاج ما هو مادي كالسلع المختلفة، وما هو غير مادي كالعناصر الخدمية من صحة وتعليم وتثقيف ودفاع وغيرهم (ويكيبيديا: مقاييس الدخل والناتج القومي، 2024، ص. 1).²

ثانياً/ حساب الإنتاج

يمكن حساب قيمة الناتج القومي من المعادلة:
الناتج القومي = إجمالي الإنتاج - متوسط استهلاك الدخل القومي (ويكيبيديا: مقاييس الدخل والناتج القومي، 2024، ص. 2).

ثالثاً/ العوامل المؤثرة في الإنتاج

تقوم الإنتاجية على العلاقة بين النواتج وعوامل الإنتاج. ويمكن تحسين الإنتاجية وزيادة معدلات الإنتاج من خلال دراسة العوامل المؤثرة في هذه العملية. فصحة العامل أو الموظف تؤثر في عجلة الإنتاج، كذلك مستوى تعليمه وتدريبه وتمكنه من مهارات عمله، كما أن تجهيز منشأة العمل له دور في الكفاءة الإنتاجية، ويأتي على رأس كل هذا الاستثمار في البشر وحسن قيادتهم وإدارتهم فيما يسمى باستثمار رأس المال البشري.³

رابعاً/ معايير قياس كفاءة الأداء في المؤسسات الإنتاجية

تقاس كفاءة الإنتاج في المؤسسات من خلال عدة عناصر متى ما توافرت متى ما زاد الإنتاج جودة: عدد وحدات الإنتاج من سلعة معينة، مع جودة هذا المنتج، مع كم العمالة أو الموظفين القائمين على العمل، مع حسن توظيفهم، فيما يسمى بالإدارة الناجحة أو الفعالة، مع عدد ساعات العمل. ويكون معيار كل هذا، بمعنى أن كل هذا يظهر قياسياً أي بشكل يمكن قياسه، في كم الإيرادات والأصول بالنسبة إلى الأرباح.⁴ من العرض السابق يتضح أن القدرة على الإنتاج كما وكيفاً تتأثر فيما تتأثر وتعتمد فيما تعتمد على القدرة على إدارة الثروة البشرية التي ستحقق الإنتاج، وهذا يرتبط بشكل مباشر وغير مباشر بالعلاقات الاجتماعية المؤسسية التي من شأنها أن ترقى بالعمل أو لا ترقى به، وهذه العلاقات تتمثل في رأس مال اجتماعي متاح وآخر مستخدم لكل أطراف العمل بالمؤسسات والهيئات والقطاعات الإنتاجية المختلفة، حيث أن شبكة العلاقات هذه تؤثر في جودة الإنتاج كما وكيفاً، كما أظهرتها الدراسات الاقتصادية سابقاً.

النموذج الرياضي المقترح والمستنتج النهائي

يستخدم النموذج الرياضي لصياغة هدف أو موضوع المقالة البحثية في صيغة منطقية رياضية / من خلال معادلة مقترحة يمكن تفعيلها كصيغة رياضية تنبؤية بطبيعة العلاقة بين رأس المال الاجتماعي من جهة، والسعادة والقدرة الإنتاجية من جهة أخرى. ومن خلال العرض السابق المتسلسل لمتغيرات الموضوع من حيث طبيعتها والعوامل المؤثرة فيها، والمعادلات المتضمنة لكل متغير والتي أوضحت طبيعته وشكل تغيره، تبين أننا يمكن أن نستخدم ما لدينا من بيانات حول القدرة الإنتاجية والسعادة للوصول لدرجة وطبيعة رأس المال الاجتماعي بمجتمع ما. النموذج الرياضي المقترح هنا يعتمد على منطق النسبة والتناسب، والذي يعني أن العلاقة بين كميتين تختلفان بمقدار ثابت؛ إذ يقال عن متغيرين أنهما متناسبتين إذا كان تغير أحدهما يؤدي حتماً لتغير الآخر، ويستخدم في هذا ما يسمى بمعادلة الضرب التبادلي لإيجاد المتغير المجهول - وهو هنا رأس المال الاجتماعي، الذي نرغب في قياس مدى تغيره في وجود مؤشري السعادة والإنتاجية - وتسمى أيضاً بمعادلة ضرب طرفين في وسطين، وذلك كالآتي:

2

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%AE%D9%84_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A

³ <http://www.ilo.org/publns>

⁴ <https://kenanaonline.com/users/khaldiabouj/posts/154967>

الناتج المحلي الإجمالي / ليكن مثلا الخام/ لدولة أو مجتمع ما في عام معين ÷ الناتج العالمي لدول أو مجتمعات العالم / ليكن أيضا الناتج الخام/ في نفس العام = مؤشر السعادة العالمي لنفس ذات الدولة بنفس العام ÷ رأس المال الاجتماعي.

وبتفعيل الضرب التبادلي يمكن أن نستنتج رأس المال الاجتماعي كالتالي:

رأس المال الاجتماعي = (الناتج المحلي لمجتمع ما ÷ الناتج الإجمالي العالمي) × مؤشر السعادة لهذا المجتمع بنفس الفترة الزمنية.

ولو أخذنا على سبيل المثال من بيانات التقرير الدولي سواء للإنتاج أو للسعادة لأي دولة أو مجتمع، لتكن كندا مثلا وعوضنا عن التعبيرات اللفظية أعلاه بالأرقام، سنجد أن:

$$109.500.000 \div 2.000.000 = 15 \div \text{س}$$

حيث 2.000.000 أو إثنين مليون دولار هي قيمة الناتج المحلي الخام بالدولار لسنة 2024 وقد حذفنا منه الكسور و 109.500.000 أو مائة وتسعة مليون دولار تمثل إجمالي الناتج الخام لدول العالم في نفس السنة وقد حذفنا منه الكسور أيضا، و 15 هو درجة السعادة بنفس ذات الدولة أو المجتمع لنفس العام، و س هو المتغير المجهول المطلوب التنبؤ به في إطار هذه العلاقة. إذن يمكن إيجاد قيمة س بضرب الطرفين في الوسطين ليصبح ذلك كما يلي:

$$\text{س} = 15 \times (2.000.000 \div 109.500.000) = 821.25$$

ولو حولنا الناتج لنسبة مئوية يمكن القول أن مستوى رأس المال الاجتماعي لهذه الدولة أو هذا المجتمع بهذا العام هو 82% تقريبا، وهذا يعطينا مؤشرا عاما عن طبيعة وحجم العلاقات أو نسبة رأس المال الاجتماعي عامة بهذا المجتمع لهذه السنة تحديدا - سواء الشخصي منه الخاص في مؤشر السعادة أو المؤسسي الرسمي كما في معادلة الإنتاج بحساب نسبة المنتج المحلي الخام للمنتج العالمي الخام.

وهكذا يمكننا المقارنة في نفس المجتمع عبر السنوات لمعرفة درجة الزيادة أو النقصان أو بين المجتمعات من أجل الوقوف على الأسباب والتفويج ما أمكن لرفاهية وسعادة المجتمعات عامة.

ولنأخذ مثلا آخر المملكة المتحدة في نفس ذات العام

$$109.500.000 \div 3.490.000 = 20 \div \text{س} \quad (\text{الأرقام مقربة بعد حذف الكسور})$$

حيث 3.490.000 هو المنتج المحلي الخام عام 2024، و 20 هو رقم المملكة المتحدة في مؤشر السعادة لنفس العام. إذن س أو رأس المال الاجتماعي = $20 \times (3.490.000 \div 109.500.000) = 0.637$ تقريبا، لتعطي نسبة مئوية 63.7% تقريبا. وهكذا (الأرقام المقربة من الموقعين المتعلقين بقائمة الدول حسب الناتج المحلي الإجمالي⁵، وأسعد دول العالم لعام 2024⁶).

وهكذا يمكننا من خلال هذا النموذج الرياضي المقترح التنبؤ بمستوى أو نسبة رأس المال الاجتماعي عامة بمجتمع ما بفترة زمنية معينة، بما يضع لمتخذي القرار فرصة للمقارنة ووضوح الرؤية واتخاذ الإجراء المناسب من أجل التقويم والتطوير، وهذا هو بحث العمليات أو البحوث الإجرائية التي تحاول دراسة الحالة أو الظاهرة كيفاً وصياغتها كما في نموذج رياضي من خلال معادلات المنطق الرياضي.

إن رأس المال الاجتماعي هو أحد أشكال رأس المال، ويبدو كثروة من شبكة العلاقات الاجتماعية المستخدمة والمتاحة بشكل شخصي يحقق سعادة الفرد الخاصة وبشكل مؤسسي مجتمعي من شأنه ليس فقط النهوض بالمجتمع وتنميته بكافة قطاعاته ولكن أيضا صموده وصلابته ومرورته في مواجهة التحديات والأزمات التي تعصف بالمجتمعات بين الحين والآخر.

خلاصة

هذا المقال، هو عبارة عن نوع من أنواع بحوث العمليات التي تفحص طبيعة رأس المال الاجتماعي وإمكانية التنبؤ به من خلال متغيري السعادة والإنتاجية في شكل نموذج رياضي مقترح، وباستخدام منطق النمذجة الرياضية كمنهج للمعالجة الكمية، مع المعالجة الكيفية من خلال الوقوف على الأطر النظرية لمتغيرات العمل المطروحة. وخلص المقال إلى اقتراح نموذج لقياس رأس المال الاجتماعي من خلال المتغيرين المطروحين.

⁵ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

⁶ <https://arabic.cnn.com/travel/article/2024/03/21/worlds-happiest-countries-2024-wellness>

المراجع

- أبو عيانة، فتحي (2024). جغرافيا السعادة والتنمية البشرية. مجلة العربي، الكويت، 790، 24-30.
- أبو هاشم، السيد محمد (2012). صدق وثبات مقياس السعادة النفسية على عينات مصرية وسعودية وسورية من طلاب الجامعة. مجلة دراسات تربوية ونفسية، كلية التربية جامعة الزقازيق، 75، 101-134.
- أسعد دول العالم لعام 2024. <https://arabic.cnn.com/travel/article/2024/03/21/worlds-happiest-countries-2024-wellness>
- التقرير الخامس لمؤتمر العمل الدولي، الدورة 97 (2008). مهارات من أجل تحسين الإنتاجية ونمو العمالة والتنمية، صص. 12-13. <http://www.ilo.org/publns>
- الحايس، عبد الوهاب جودة و جمعة، محمد حسين أنور (2021). الاتجاهات المعاصرة في بحوث رأس المال الاجتماعي- دراسة في سسيولوجيا العلم. مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية، مركز البحوث الاجتماعية وتنمية المجتمع، جامعة المنيا. 3(3)، 111-27. <https://doi.org/10.21608/mbes.2021.81444.1025>
- الرفاعي، كريمة السيد بنداري (2015). تنمية رأس المال الاجتماعي. مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، 54، 365-391.
- المرصد الوطني للتنمية المستدامة واستشراف المستقبل. الكويت. تقرير مؤشر السعادة العالمي 2024. https://x.com/sdg_kuwait?lang=ar
- المرصفي، هناء محمد خير حسن (2018). مفهوم السعادة ومصادرها لدى الجامعيات- دراسة سيسيولوجية. مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، كلية التربية، 24(3)، 148-203.
- بلحنافي، أمينة و مختاري، فيصل (2017). إشكالية رأس المال الاجتماعي بين المفهوم والقياس. مجلة الحكمة للدراسات الاقتصادية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 9، 121-148. DOI:10.12816/0048548
- حجازي، عزت (2006). رأس المال الاجتماعي كأداة تحليلية في العلوم الاجتماعية. المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 43(1)، 1-28.
- رأس المال (تمت الزيارة في ديسمبر 2024). [/https://ar.wikipedia.org](https://ar.wikipedia.org)
- قائمة الدول حسب الناتج المحلي الإجمالي. [/https://ar.wikipedia.org/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)
- قورة، أحمد حلمي محمد (2022). بناء مقياس السعادة النفسية لدى ممارسي أوجه النشاط الترويحي من كبار السن. المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة حلوان، كلية التربية الرياضية بنين، 96، 106-127.
- مصطفى، عدنان يس (2018). رأس المال الاجتماعي: الوجه الآخر للصدود المجتمعي- مقاربات نظرية وخيارات تنموية. مركز البيان للدراسات والتخطيط، العراق.
- معايير قياس كفاءة الإنتاج في المؤسسات الإنتاجية (تمت الزيارة في دجنبر 2024). <https://kenanaonline.com/users/khaldiabouj/posts/154967>
- معيري، هشام و الجيلاني، حسان (2017). رأس المال الاجتماعي كقوة محركة للمنظمات. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بيسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 25، 61-84، DOI:10.37136/2000-000-025-002
- ويكيبيديا (2024). مقاييس الدخل والناتج القومي. [/https://ar.wikipedia.org/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)
- Goodwin, N.R. (2003). Five Kinds of Capital: Useful Concepts for Sustainable Development. G-DAE Working Paper, pp. 03-07